باسم فرات

أشهق بأسلافي وأبتسم

شعر

أشهق بأسلافي وأبتسم

(شعر)

باسم فرات: أشهق بأسلافي وأبتسم (شعر)

البريد الإلكتروني للشاعر

basimfurat8@yahoo.com

الحضارة للنشر

7 شارع أبو السعود– الدقي **12311**– القاهرة

Al-Hadara Publishing
7 Abu El-Seoud Street
Dokki 12311, Cairo, Egypt

Tel: (20-2) 3 761 94 39 – (20-122) 316 48 67

www.alhadara.com

الطبعة الأولى: يونيو (حزيران) 2014

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية: 2014 / 9776

I.S.B.N. 978-977-476-201-7

الغلاف للفنان: صدام الجميلي

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

أشهق بأسلافي وأبتسم

شعر

باسم فرات

أنتِ سَفينَةُ النجاةِ

بأُنوثَتِكِ تَحرُسينَ أيَّامي

◊ انتباهةُ طفل ◊

الْمَزارُ الْمُبْتَلُّ بِأَنينِ الأَرامِل
حَيثُ طُفولَتي تُسابِقُ اللَّهْوَ،
والجنائزُ تَمُرُّ،
نَشِيجٌ يَخْتَرِقُ بَراءَتي،
أَراهُ يَطوفُ في الإيوانِ والرَّدَهاتِ،
لِيُعانِقَ التُّرابَ،
بُكاءٌ مَكْتومٌ لكنَّهُ شامِخٌ، أُحَيِّيهِ بِانْتِباهَةِ طِفْل
تَضَرُّعاتٌ عَلى جُدْرانِهِ تَزيدُني خُشوعًا

رأيتُ شَهَقاتِها
تَتَمَلْمَلُ في بِئْرِ الكَوابيسِ،
وَفي نَظَراتِها أُمَّهاتٌ غَسَلْنَ العُمْرَ بِالنُّواح.

الْمَزارُ الذي عاشُوراؤهُ تَتَنَفَّسُني

في باحَاتِهِ يَرقُدُ أَسلافي

وَبُطولاتُهُمْ حَكايا تُجيدُ تَزيينَها النِّساءُ بالدُّموع.

◊ حُلمٌ فادح ◊

ثَلاثونَ سَنَةً
قَضَيْتُها وأنا أحْفِرُ نَفَقًا
في الجَبَلِ الذي كانَ حائلاً بينَنا
لأصِلَ إليكِ
حاصَرَتْني انهِياراتٌ
والنبعُ الذي تخَلَّى عنِّي
كان يُخفي اسْمَكِ
في الكُهوفِ،
ويَرتَشِفُ حُروفَهُ

غادَرَني الأصدِقاءُ
وبَقِيتُ وَحيدًا
أَشُقُّ الصَّخْرَ

رَسَمْتُ جَبَلاً

لأُغْري الأحْجارَ بالنَّوْمِ في شُموخِهِ

وفي البُحَيْراتِ عانَقَني طَيْفُكِ

لكنَّهُ الخاتَمُ الذي

يَسْتَوطِنُ خِنْصَرَكِ

والشَّيْبُ الذي يُطَوّقُ مَفْرِقي.

◊ الوداع يسقُط من يدي ◊

سَأَحْذِفُ مِنْ تَقويمي
تِلْكَ السَّنَواتِ التي لَمْ تَكُنْ
يَدُكِ فيها دَليلاً يَقودُني
إلى أَيْنَ ..

سَوْفَ أَحْذِفُ الْمُنْعَرَجاتِ الكَثيرَةَ
التي كانت بَيْنَنا
وَأُعَلِّقُ في الأَزِقَّةِ أَسماءَ أسلافي،
غَيْرَ مَعْنِيٍّ بِالْمَسافاتِ،
مازالتْ يَدُكِ دَليلي.
الذي يُبَرْهِنُ أَنَّ الْمُدُنَ المُنْدَثِرَةَ
تَصْحو حينَ نَمُرُّ فيها،
وَأَنَّ الخَرائِطَ وَشْمٌ يُغريني بِعِناقِك

وَبَيْنَما البَحْرُ الذي راحَتْ أَمواجُهُ تَكْبَرُ وَتَكْبَرُ،

كانتْ كَلِماتي تَتَلاشى

وَالوَداعُ يَسْقُطُ مِنْ يَدي.

◊ موجوعٌ بِحُبِّكِ ◊

أَتَّكئُ عَلى حائِطٍ قَديمٍ تَرَكَ ضَحايا زَنازينَ ذِكرياتِهِمْ عَلَيْهِ

فَتَصْطادُ العَناكِبُ صَرْخَتي

أَجِدُني في شِباكٍ مَليئَةٍ بِقَتْلَى

بَرّوا بِقَسَمِهِمْ لِحَبيباتٍ

يَجْلِسْنَ عَلى ضِفَّةِ النَّهْرِ يَمْضُغْنَ غُرورَهُنَّ

وَهُنَّ يُمَزِّقْنَ قَصائِدَ كَتَبَها مَجانينُ مِثْلي.

◊ بلا جدوى ◊

أبي
قَتَلَتْهُ امْرَأَةٌ

هكَذا
رَدَّدْتُ وَأَنا أُحاوِلُ بِلا جَدوى
أَنْ أُزيحَكِ مِنْ مُخَيّلَتي.

◊ طوَّقتُ خَصْرَكِ ◊

في قارِبٍ رَجْرَاجٍ،
كانَ نَهمًا لأَمواجِ الْمُحِيطِ،
قَضَيْتُ سَبْعًا مُبْهِراتٍ،
مُظاهَراتُ نُجومٍ تُلَوِّحُ لي،
وَكَواكِبُ أَشْعَلَتْ قَناديلَها
لِتُغْرِيَ الأَسْماكَ بِالرَّقْص.

شَواطِئُ تَبْتَعِدُ فَتُرافِقُني طُيورٌ
أُشِيرُ لَها بِصَفيرٍ تَعَلَّمْتُهُ في غاباتٍ سَحيقَةٍ
تَقودُ الرّيحَ إلى ساحِلٍ أَبْيَضَ
عانَقْتُ رَمْلَهُ وَفي مائِهِ كُنْتِ تُمَشِّطينَ شَعْرَكِ
بِطْريقٌ هامَ عَلى مِنقارِهِ وَتَحْتَ جَناحَيْهِ رَسائِلُ

تَتَحَدَّثُ عَن أَجْمَلِ أَمانيكِ
عَن رِحْلَتِنا إلى بابِلَ حَيْثُ فَتَحَ الْمَلِكُ نَبونيدُ مَكْتَبَتَهُ لَنا

كانَتِ الكُتُبُ مُعَطَّرَةً بِقُبُلاتِنا
وَحينَ طَوَّقْتُ خَصْرَكِ
عادَتْ يَدي مُبْتَلَّةً بِبَعْضِ حَبّاتِ رَمْل.

◊ طـينُ الأيـام ◊

سَأَجْمَعُ الكَلِماتِ القَديمَةَ
تلكَ التي عَتَّقَها الفَقْدُ
أُجَلِّلُها بالسَّوادِ
وَأَضَعُ عَليها آسًا وزُهورًا
أُعَطِّرُها بماءِ الوَرْدِ
ثُمَّ أُغَلِّفُها بِالنَّهْرِ
لَعَلَّ مَوجَةً نَزِقَةً تَحْمِلُها
حَيْثُ مُحِبّونَ تَوَارَوْا بَعيدًا تحتَ شَجَرَةِ السِّدْرِ
يُطْفِئونَ نارًا وَقودُها طينُ أيّامي.

◊ شَهقَةُ الله ◊

عادَةً أَلُوذُ بِذِكرى بَعيدَةٍ،
حينَ خَرَجَ النَّدى راكِضًا يُناديكِ
كانَ شَعرُكِ مُكتَظًّا بالملائِكَةِ
وَفي بَياضِكِ شَهْقَةُ الله

رُحْتُ أَحْمِلُ هذِهِ الذِّكْرى
عَلى كَتِفَيَّ صارِخًا في البَرِّيَّةِ:
أَنَّ المرأَةَ التي في شَعْرِها تَكتَظُّ المَلائِكَةُ
وفي بَياضِها شَهْقَةُ اللهِ
رأيتُ النَّدى يَرْكُضُ خَلْفَها مُنادِيًا يَتَوَسَّلُ
وَثَمَّةَ خَيْطٌ مِنَ العِطْرِ أَحْمَرُ يَلهَثُ
بَيْنَما قَلْبي يُحَشْرِجُ بين نَهْدَيْها.

◊ تصطادين قصائد ◊

أَتَذَكَّرُ مَرَّةً خَرَجْتُ لأَتَفَقَّدَ أَحلامي
كانَتِ الجدرانُ مَليئَةً بِخَرْبَشاتٍ تُشْبهُ تَمائِمَ سَحَرَةٍ،
وَأَنْتِ تُشْبِهينَ الْمَرْأَةَ التي نَثَرَتْ أُنوثَتَها عَلى امْتِدادِ رَحيلي،
لا صُبْحُ يَدْنو،
لكنَّ يَدَكِ وَهِيَ تُزيحُ الأَلَمَ عَنْ أَنْفاسي،
تَتْرُكُ عِطْرًا.

ليلي فارِغٌ إلا مِنْكِ.
في مِياهِ حَسَراتي تَرْمينَ أَوجاعًا
وَتَصْطادينَ قَصائِدَ.

◊ عِناقُكِ ◊

أَمُرُّ بِذِكْرَياتِنا،
أَرى صَوتَكِ يَحْفِرُ عَميقًا في رِئَتي
سَأَلْتُكِ، بَرَّرْتِ الأَمْرَ بِأَنَّ أُقْحُوانًا غَفَا عَلى أَنامِلِكِ
كُنْتِ تَرمينَ خَفَقاتي بِنَهْرِ المَدينَةِ
وَعَلى ضِفَّتَيْهِ تَزْرعينَ لَهْفَتي
هكَذا ازْدَانَتِ المَدينَةُ بِالحَدائِقِ قُلْتِ لي

لم تَلْتَفِتي
بَيْنَما كانتِ الأَساطيرُ تَتَطاوَلُ
وَحينَ كادَتِ المدينَةُ أَنْ تَخْتَنِق
تَذَكَّرْتِ أَنَّ أَنفاسي
تَحْتَ قاعِ نَهْرِها
عَطْشَى إلى عِناقِكِ.

◊ تَوَهَّجْ بي ◊

حِقَبٌ طَويلَةٌ مَرَّتْ عَلَيْهِ

وَهُوَ يَنْتَظِرُ ارْتِعاشَةَ شَفَتَيْكِ

كانَ لِسانُهُ سَليطًا وَهُوَ يَتَدَفَّقُ عَلى حُقولِكِ الْخُضْرِ

وَأُمْنِياتُه قَرابينَ سَفَحَها مُتَهَجِّدًا

لم يَكُنْ دَمْعُهُ سِوى ماضٍ لا تَفْتُرُ عَصاهُ

وَعُواءُ سَنَواتِهِ يَجْلِدُهُ قَلَقُهُ

مُتَوَجِّسًا يَذرو حَياتَهُ

رأيتِهِ يبكي عِناقًا وَقُبلاتُهُ مُبَلَّلَةٌ بِالأَنينِ

خَمْرًا سَقَيْتِ النِّسْيانَ

خَلَعْتِ عُرْيَكِ

وَقُلْتِ لَهُ

هذا مَلَكوتي فتَوَهَّجْ بِه.

◊ أعزَلُ إلاّ منكِ ◊

قُلْتِ لي: انْظُرْ إلى هذا الْمَزارِ المُذَهَّبِ
كانَتْ تَطوفُ بِهِ أَسماكٌ غادَرَتْ إلى مُحيطٍ بَعيدٍ
أَحْلُمُ بِواحِدَةٍ أَعْقُفُ بِها شَعري
سَبْعُ لَيالٍ عِشْتُها في قارِبٍ صَغيرٍ،
كانَ المَوْجُ يُطارِدُ عاشِقًا
والنُّجومُ تُشيرُ إِليكِ

أَجْرامٌ كَثيرَةٌ تَسْقُطُ أَمامي
طَمْأَنَني البَحّارُ أَنَّها تَغْتَسِلُ حينَ يَنامُ النّاسُ
لم يُخْبِرْني عَنْ علاقَتِها بِالقِرْشِ الَّذي كانَ يَرْمي عُنْفَهُ لِقارِبِنا
وَأَنا أَعْزَلُ إلاّ مِنْ شَغَفي بِكِ

دُوَارُ البَحْرِ كانَ يُقاسِمُنا الطَّعامَ

وَلِلتَّماسيحِ دَفَعْنا إتاواتٍ
وَكُلَّما مَرَرْنا بِالقُرْبِ مِنْ جَبَلٍ رَمَيْنا بَعْضَ مَلابِسِنا

سَبْعُ لَيالٍ
نذْرٌ وَفَّيْتَهُ لأَحْظَى بِقُبْلَةٍ مِنْكِ
وَحينَ عَقَفْتِ شَعْرَكِ بِالسَّمَكَةِ
تَوارَتِ السَّواحِلُ بَعيدًا وَصِرْتُ نَسْيًا.

◊ القصيدة ◊

القَصيدَةُ تَسْأَلُني عَنْكِ
فَهِيَ تَسْتَحِمُّ بِشَعْرِكِ
وَعَلى رُكْبَتَيْكِ الشَّهِيَّتَيْنِ
طالما رَقَّقَها زَغَبُكِ.

◊ شَفَتَاكِ ◊

غَريبَةٌ قَصيدَتي
إنْ لَمْ تَتَعَمَّدْ
بِشَفَتَيْكِ.

◊ عذوبة ◊

حينَ نَزَلْتِ لِلْبَحْرِ
تَبِعَتْكِ الغاباتُ
عُذوبَتُكِ امْتَدَّتْ
لِيَوْمِ الطَّفِّ (*).

(*) يوم الطف: هو الذي جرت فيه أحداث فاجعة؛ مأساة الإمام الحسين سبط النبيّ (ص) ومعه أهل بيته.

◊ حُمَّى الفَقْد ◊

عِندَ البابِ خَلَعْتُ الشِّتاءَ
فَأُصِبْتُ بِحُمّى الفَقْدِ

صَوتُكِ هُوَ ذِكرياتي الوَحيدَةُ
أَتَدَفَّأُ عَلَيْها في غُرْبَتي

حينَ أُغْلِقُ جَوّالي
أَرَى ضِحْكَتَكِ قَدْ سَبَقَتْني لِلسَّرير

كانَ الفَلاسِفَةُ يَتَجادَلونَ
هَل تَطابُقُ لَوْنَيْ شَعْرِكِ وَعَيْنَيْكِ
يَعودُ لِهُيامي بِكِ
أَمْ لِتِلْكَ الأَسْرارِ الكامِنَةِ في اسْمِك

كُنْتُ أُضَمِّدُ عِشْقي،
وأرْدِمُ وَجَعًا خَلَّفَه بَياضُكِ.

سَحالي وَعَظايا قادَتْني نَحْوَ كُهوفٍ
كانَتِ الأَفاعي خَبَّأَتْ فيها خصْلَةً مِنْ شَعْرِكِ
حيثُ لَثْمُها يُجَدِّدُ الحياة.

الطَّرائِدُ في البَرِّيَةِ تَلْهو
لا وُحوشَ تَدنو مِنها
وَهِيَ تَلْثَغُ بِاسْمِكِ.

رَنينُ غِيابِكِ
جَعَلَ المدينَةَ
تَلْتَحِفُ السَّوادَ.

بَوْحِي أَتَوَكَّأُ عَلَيْهِ
لَعَلّي أُغْري صَمْتَكِ أَنْ يَقْرَأَني

يا لَهَذا الغِيابِ
دُموعُهُ سَكاكينُ تَتَوَسَّدُني.

◊ انبهار ◊

المآذِنُ التي تُحيطُ بِظِلِّكِ،
لا تَصْدَحُ بِذِكْرِ اللهِ
إلاّ انْبِهارًا بِكِ.

◊ الهروبُ من طَيْفِكِ ◊

الغاباتُ وَالشَّواطِئُ، الحَدائِقُ وَالقُصورُ،

الْمُدُنُ الّتي لا حَصْرَ لَها، الجبالُ، المسْتَنْقَعاتُ، الأَنْهارُ وَالْتِقاءاتُ نَهْرَينِ،

الخلْجانُ وَالشَّلالاتُ، المَعابِدُ وَالقُرى الغافِيَةُ عَلى سُفوحِ النَّقاءِ،

الأَدْيانُ الْمُمَجِّدَةُ لِلأَصْنامِ

وَتِلْكَ الْمُمَجِّدَةُ لِلإِنْسانِ أَو الطَّبيعَةِ،

كُلُّ الأَمْكِنَةِ التي مَرَرْتُ بِها

وَعَبَرْتُها

وَأَقَمْتُ فيها،

لم تَكُنْ سِوى مُحاوَلَةٍ فاشِلَةٍ

لِلهُروبِ مِن طَيفِك.

◊ حُلمٌ مُغتَصب ◊

سَنَواتٍ طَويلَةً أَغْرَقَني المنفَى
وَأَنْتِ رَبَطْتِ عَلَقًا أَخْضَرَ في شُبّاكِ وَلِيِّكِ الْمَعصومِ
وَنَثَرْتِ شَعْرَكِ فَوقَ ضَريحِه

عشرينَ سَنَةً لمْ أَبُلّ ريقي بِنَبْعِ شَفَتَيكِ
وَلم أُمَسِّدْ شَعرًا تَعَطَّرَتِ الْمَزاراتُ بِأُنوثتِه
كُلُّ مَنفى يَطْرُدُني إلى آخَرِ،
وكُنتُ أَسْتَقْوِي على كُلِّ هذا بِمِنديلٍ مَسَحْتُ دَمْعَكِ فيهِ
يومَ طارَدَنا العَسَسُ، غِبْتُ في مُدْلَهِمّاتِ الْحَياةِ
آوَيْتُ غُرْبَتي في أَسْمالي
وَفي غَمْرَةِ تَشَرُّدي بَقِيَ صَوْتُكِ
دَليلي عَلى أَنَّكِ حُلمٌ اغْتَصَبَهُ مِنّي الرَّحيل.

◊ غيرة ◊

أَغارُ عَليكِ مَن قَميصِ أَخيكِ حينَ يَتَعَلَّقُ بِأسْتارِ شَعْرِكِ،
وَمن أَخيكِ حينَ يَفْقِدُ صَوابَهُ أَمامَ صَفاءِ بَياضِكِ،

أَغارُ عَليكِ مِن وَلِيِّكِ
وَأَنْتِ تُرَدِّدينَ اسْمَهُ،
وَتَلْهَجينَ بِهِ،
تَبكينَهُ وَتَزورينَ مَقامَهُ،

أَغارُ عَلَيكِ مِن اللهِ
كُلَّما تَضَرَّعْتِ لَهُ وَخَشَعْتِ.

◊ صَوتُكِ ◊

في المنافي
حَمَلْتُ صَوتَكِ،
هُوَ تَعْويذَتي
كُلَّما اسْتَفَزَّ عِراقِيَّتي رِجالُ الحُدودِ
واسْتَفْرَدَتْ عُزْلَتي بي
أَيْقونَةٌ
تَطْرُدُ عَنّي تِيهَ القَبائلِ
في بَحْثِها عَن دَمي
لَطَالما سَمِعْتُ العابِرينَ يَهْمِسونَ:
غَريبُنا أَنيسُ البِلادِ
والمجانينُ يَتْبَعونني
مُسْتَدِلّينَ بِصَوْتِكِ عَلى خَفَقاتي.

◊ قَدَرٌ ◊

كَتَبْتُ قَصائدَ لِنساءٍ عَديداتٍ،
لِعَلّي أَهْرُبُ مِن طَيْفِكِ
وَرَفَضْتُ ما قالَهُ الكُهّانُ وَالْمُنَجِّمونَ
مَشَيتُ
أَمْنَحُ قَلبي لِلْجَمِيلاتِ
وَأَلْهُو
عاشِقٌ يَسْقي مَساءاتِهِ
قُبُلاتٍ وَهَمْسًا وَموسيقى

وَلكنَّهُ اللَّيلُ كلما تَوَغَّلَ
كانَ حُضورُكِ
يَقْتادُني لِلْبُكاء.

◊ يخنقني غيابك ◊

بَعدَ أَنْ أَعْياني اللُّهاثُ لِلوُصولِ إليكِ
دَخَلْتُ دَيْرًا لالْتَقِطَ أَنفاسي فيهِ
مَخطوطاتُهُ التي تشِعُّ في المكانِ
كانتْ تَخْتَبئُ مِن تَلَصُّصِ الزَّمَنِ
فَتَحْتُ أَضْخَمَها فَظَهَرْتِ بِعِطْرِك
سَأَلْتُكِ عن الخاتمِ الذي مَعَكِ،
أَجَبْتِ
إنَّهُ الزَّمنُ أَطْويهِ كَما أَشاءُ

طَوَيْتُ الكِتابَ
وَرُحْتُ أَنْشِجُ:
يَخْنُقُني غِيابُك.

◊ التِّيه ◊

في الليالي البَعيدَةِ
خُضْتُ في عِطرِ امْرَأَةٍ
حَمَلَني بَياضُها لِتَقشيرِ الأَسى

رُحْتُ أَزْرَعُ جِراحًا في صَباحاتي
وَأَحْصُدُ غاباتِ انْتِظاراتٍ يائسَةٍ
لا حَطَّابِينَ يَجرُؤونَ على اقْتِحامِها
وَشَلالاتُها دُموعُ عُشّاقٍ،

قبُورُهُم تُناديني.

◊ حِنكةُ عاشقٍ ◊

أُدِيرُ حُزني بِحِنْكَةِ عاشِقٍ مَخذولٍ
وَبِالحنينِ أُوقِدُ ذِكرَياتي
لا آثارَ لِبَهْجَةٍ تائِهَةٍ في أيامي

أُنِيرُ القَلَقَ بِالحَسَراتِ
وَأُوفي بنُذوري لأَطْرُدَ النَّدَمَ

الآسُ أَنْثُرُهُ على أَحلامي
وَأَقودُ صَمْتي لِلتَّفَجُّعِ
على صَوتِكِ الذي غَدا بَعيدًا
وَصَوْتي الذي أَصْبَحَ واهِنًا.

◊ مَددتُ يدي ◊

مَدَدْتُ يَدِي

كانَ يُتْمي يَسْبِقُني

خَشِيتُ أَنْ يَبْتَلَّ دَلالُكِ

بِدُموعِ طُفولَتي

أَنْ تَرتَبِكَ أَعوامُكِ البِيضُ

بِسِخامِ سَنَواتي

أَنْ تَتَعَثَّري بالْحُفَرِ التي لم تَنفَعْ أسمالي البالِيَة بِرَدمِها

أَنْ تُبَعْثِرَ ضَحِكاتُكِ النُّدوبَ العَميقَةَ فيّ.

◊ محاولة لاستحضار النسيان ◊

أَحْضَرْتُ آسًا
وَأَشْعَلْتُ شَمعًا،
وَسَبْعَ أَعوادِ بَخورٍ،
كَتَبْتُ اسْمَكِ سَبعًا
واسْمَ الْحَنينِ إحدى وَعِشرينَ مَرَّةً،
أَحْرَقْتُها جَميعًا
لكنَّ صَوْتَكِ فاجَأَني.

◊ نَبيـذُكِ أنا ◊

خُطُواتٌ كَثيرَةٌ تَبِعَتْني
وَأَنا أَلُمُّ النَّدى من كَلِماتِك
وَحينَ أَتْعَبَني الشَّوْقُ
دَخَلْتُ غابَةً
كانَ حَشْدُ رُهبانٍ
يُسَبّحونَ لِشَجَرَةٍ عِملاقَةٍ
حينَ اقْتَرَبْتُ
رأيتُ اسْمَكِ على كُلِّ وَرَقَةٍ فيها

الرُّهبانُ شَقّوا صَدري وَأخْرَجوا صورَتَكِ
سَجَدوا لَها وَراحوا يُنْشِدونَ تَراتيلَ
كُنتُ كَتَبْتُها ذاتَ يَومٍ لَكِ

وَأَنا أَنْظُرُ لِقَلبي

يَتَرَنّحُ بينَ اسْمِكِ وصورَتِكِ

مُردِّدًا كَلِماتِكِ

حتى صارَ نَبيذكِ الْمُشتَهى

وَصِرْتُ قبرًا مُهْمَلاً

يَنْتَحِبُ حَوْلَهُ العُشّاق.

◊ قبر العاشق ◊

هُنا يَرْقُدُ عاشِقٌ
أَجْلَسَ طُفولَتَهُ في المِحْرابِ
وَراحَ يُؤَذِّنُ في المَنائِرِ
أَنْ لا أَحَدَ سِواكِ
تَشَهّدَ باسْمِكِ
وَهُوَ يُلَقّنُ اليَنابيعَ كَيفَ تَسْتَحِمُّ بِعِطْرِكِ
تَجَمْهَرَ الأَطفالُ والعُشّاقُ يَتَمَسَّحونَ بِنَبْضِه

وَحينَ فاضَتْ كَراماتُهُ
أُقيمَ عَلَيْهِ الْحَدّ.

◊ الاسـمُ الأعظَـم ◊

عَلى قِمَّةِ جَبَلٍ رَأَيْتُ اسْمَكِ

تُحيطُهُ مَلائِكَةٌ وَبَبغاواتٌ

أَسْرابُ طُيورٍ

أَنْبِياءٌ وَقِدّيسونَ

رُهْبانٌ وَأَوْلِياءٌ

يَتَبَرَّكونَ بِهِ

قيلَ في أوّلِ حُروفِهِ

اسْمُ اللهِ الأَعْظَمِ

وَفي الأَوْسَطِ سُرُّ النُّبُوَّةِ

وَفي الأَخيرِ بُرْهانُ الإمامَةِ

لا كَرامَةَ لِنَبِيٍّ إلاّ بِالنُّطْقِ بِهِ

وَلا عِصْمَةَ لإمامٍ إلاّ بِالتَّمَسُّحِ بِأَثْوابِهِ

وَلا شَهادَةَ لي إلاّ في عِناقِك.

◊ هَوَسٌ ◊

مَهووسٌ بِكِ

يَهْجِسُني نِداءٌ بَعيدٌ

أَنَّكِ حَتْفي وَمَجْدي

وأنَّكِ تِلكَ الدُّرَّةُ

التي تَراءَتْ لِلقَوافِلِ

وَنورُها يَصْرُخُ في البَرِّيَّةِ:

هِيَ الدُّرُّ وَالذَّهَبُ الْمُشْتَهى

وَباقي النِّساءِ تُرابٌ.

هِيَ الكَلِمَةُ التي نَطَقَها نوحٌ في السَّفينَةِ

فَهَرَبَ الطوفانُ بَعيدًا

وَإبراهيمُ رَتَّلَها

وكانت عَصا موسى

وبِقُوَّتِها كانَ الْمَسيحُ رُوحَ اللهِ.

◊ شاعر يَتَوَجّع ◊

أَتَوَجَّعُ لِذِكْرِكِ وَأَنا أَقْرَأُ قَصائِدَ أَمامَ عُشّاقٍ مُصابينَ بالفَقْدِ
أُخْبِرُهُمْ عن حَياتي الْمُلَطَّخَةِ بَوَحْلِ هِجرانِكِ،
عَن أَمَلي المُقَيّدِ بِمَشْبَكِ شَعرِكِ
عَن تَعنيفِ «باسِم فُرات» لي حينَ أَصْرُخُ أَمامَ الجميلاتِ أَنَّكِ الأَجْمَلُ
وَعن خَفَقاتِ قَلبي وَهِيَ تَتيهُ في أَزِقَّةِ الْمُدُنِ المُقَدَّسَةِ،
تُطْعِمُ حَمامَ الْمَزاراتِ، إفراطي بِالحُبِّ
أُغَنّي خَيْبَتي
فَتَمتَلِئُ المَآذِنُ بِالْهَديلِ
فَجرُ ينَابيعِكِ
يَتَجَمَّدُ أَمامَ بابي
وَعَلى الشَّبابيكِ لَهْفَتي
تُنيرُ أَحلامَك

عارِيَةٌ أَشجاري بَعدَكِ،
وعَواصِفُ اللَّوْعَةِ تَنتَهِكُها

العُشّاقُ المُصابونَ بالفَقْدِ تَرَكوني في العَراءِ
شاعِرٌ يَتَوَجَّعُ لِذِكْرِكِ
وَيَقرَأُ قَصائِدَهُ أَمامَ وحْدَتِه.

◊ طائرتي الورقية ◊

كُنتُ أَتَوَقَّفُ أَمامَ بابِ بَيتِكُم،
وَحينَ يَسأَلُني الأَصدِقاءُ
أُبدي دَهْشَتي بِزُخْرُفِه

كانت خُطايَ تَتَعَثَّرُ في "عَقْدِ السّادَةِ"
وَفَقري يُنشِبُ آهاتِهِ في "حَيِّ الْحُسَينِ"
أَتَأَرجَحُ باليُتْمِ وَالمَحَبَّةِ
وبِلَهْفَتي أَتَبَعْثَرُ

طِفْلٌ لا جُيوبَ في ثِيابِهِ
يَنْظُرُ لأَقْراطِكِ وَالْحَلْوى
التي طالَما هَجَمَ عَلَيْها بِنَظَراتِه فَقَطْ

كُنْتُ أَتَأَمَّلُ عَينَيْكِ
وَطائِرَتي الوَرَقِيَّةُ تُفَخِّخُها الأَيّامُ

بَياضُكِ تَسيلُ الأَنْهارُ مِنْهُ
وَلَيَالِيَّ مَليئَةٌ بِالتَّنانيرِ وَالْمَوتى
كلما تَعَثَّرْتُ بِقَبْرِ أَبي
طَرَقْتُ بابَكُم وَهَرَبْتُ.

عقد السادة: أحد الحارات الشهيرة في كربلاء القديمة ويمتاز بأن أكثر عائلاته تقريبًا ينتمون للسلالة النبوية.

حي الحسين: أحد أشهر الأحياء في كربلاء وأكثرها رقيًّا.

◊ حَنُوطِي ◊

الطُّرُقاتُ مَليئَةٌ بِالشَّكوى، وَالْهُتافاتُ نَوافِذُها
لافِتاتٌ في كُلِّ مَكانٍ تَحمِلُ رَأسي
شُرطَةٌ تَقودُني إلى حَيثُ الْمِقْصَلَة
في كُلِّ خُطوَةٍ أَتَعَثَّرُ بِصَوتِك

حينَ سَأَلَني الجلادُ عَن أُمْنِيَتي الأَخيرَةِ
أجبْتُ:
قبْضَةٌ مِن عِطرِكِ لِتَكونَ حَنُوطي.

◊ رسائلكِ ◊

رَسائِلُكِ عَالَمِي الوَحيدُ،
مِنها أُطِلُّ عَلى غُرْفَتِكِ
حَيثُ تَجْلِسُ مَلِكَةُ اللَّيلِ على النافِذَةِ تَسْتَنْشِقُ عِطرَكِ
أَتْرُكُ العُطورَ وَهِيَ مُزْدَحِمَةٌ بالتَّلَهُّفِ لِمُلامَسَةِ بَياضِ العُنُقِ
وَأَشُمُّ شَذى جَسَدِكِ بَعدَ الاسْتِحْمامِ،
يُغريني شَعرُكِ الطَّويلُ كَثيرًا
أُقَرِّرُ أَنْ أَكْتُبَ إِليكِ هذهِ القَصيدَة

كَعادَتِكِ تَصْمُتينَ لِبُرْهَةٍ،
تَلْمِسِينَ جُروحَ طُفولَتي
إِنَّها تُوازي فَرَحَك

أعْرِفُ أَنَّنا نَقيضانِ

وَأَنَّكِ تُقَشّرينَ حُزْني بِضِحْكَتِكِ

وأَنَّ الْمُراهِقَ فيّ يَفْتَعِلُ أَيَّ شَيءٍ

لِيُلامِسَ النَّبْعَ ويَكْتَشِفَ سِحْرَ فَيْضِهِ بشَفَتَيهِ

وحينَ أَصِلُ لا أَجِدُ سِوايَ

أُغْلِقُ رَسائِلَكِ وَأَنسى نَفسي وَحيدًا

في غُرفَتِك.

◊ شاعرٌ يُفَكِّرُ بغيابك ◊

أَجْلِسُ أَمامَ حَياتي
أَدَّعي السَّعادَةَ، وَأَنا أُفَكِّرُ بغِيابِكِ
أُوهِمُ نَفْسي أنَّهُ غِيابٌ لَنْ يَطولَ
وَأنَّ الطُّرُقَ إليكِ مُغْلَقَةٌ

أَحْيانًا أَتَساءَلُ: هَلْ كُنتِ بُركانًا أَحْرَقَني وَخَمدَ
وَفي فُوَّهَتِهِ الآنَ حُقولٌ وَظِباءٌ تَرعى
فَراشاتٌ تسقي الأَزْهارَ
قَصائِدُ كَتَبَها شاعِرٌ يُفَكِّرُ بِغِيابِ حَبيبَتِهِ
عاشِقاتٌ يُسَرِّحْنَ أُنوثَتَهُنَّ بانْتِظارِ الفُرسانِ

وَفي أَحايينَ أُعْزي الأَمْرَ
إلى حُلمٍ لم يَتَحَقَّقْ فَتَوَهّمْتُهُ

فَلَطالما خَيَّبْتُ أَحلامي

وَهِيَ تَراني أَتَحَدَّثُ عَن شاعِرٍ

يَدُسُّ الأَلَمَ في ذاكِرَتِهِ

لِيُحَلِّلَ خَرائِطَ لا تَقودُ إلاّ لِلغِيابِ.

◊ عَتبة الغياب ◊

عَلى دِكَّةِ الآلامِ أَجْلِسُ،
أُراقِبُ جِراحي وَهِيَ تَنمُو بِغِيابِكِ
كَيفَ تَسْقي الْمَطَرَ بِالْحَنِينِ
وَتُبَلِّلُ شِفاهَ الياسَمينِ بِالْقُبَل

هنُاكَ في النَّهْرِ الذي يَمضي
بِجانِبِ المَدينةِ خَجِلاً
غِزْلانٌ تَمرَحُ في نايٍ غريبٍ
تَتَسَلَّقُ آلامي وَتَخِيطُ التِفاتاتِها
من انْتِظارِ القَصَب

عَلى عَتَبَةِ الغِيابِ أَجْلِسُ
صَقرٌ يَلعَقُ جِرَاحَه.

◊ نَترك قبُلاتنا على السرير ◊

مَلِكَةُ اللَّيْلِ يَلوذُ عِطْرُها بِحُجْرَتِكِ،
أُمُّكِ يَرتَبِكُ قَلبُها
حَيثُ تُمارِسينَ هُوايَتَكِ بِتَأَمُّلِ الْمَطَرِ
يَخْشَعُ أَمامَ جَمالِكِ،
بَناتُ نَعْشٍ يَنْتَظِرْنَ نَظْرَتَكِ لِيَهِبْنَ الْحَياةَ
لِلأَبِ القَتيلِ في باطِنِ السَّماءِ..
خُشوعُ النَّسيمِ طَلَبًا لِلْغُفرانِ
أَيّامُكِ طُيورٌ تُزَيِّنُ موسيقاها اللَّيالي،
وَفي كَفِّكِ فُصولٌ تَتَعانَقُ،
تَشْمَخُ بابِلُ بَينَ أَنامِلِك،
وَفي الْمِرآةِ يَتْرُكُ شَعْرُكِ آثارَ غُرورٍ
وَجُنوني
وَنَتْرُكُ قُبُلاتِنا وَحُقولَ حَماقاتِنا عَلى السَّريرْ.

◊ راهِبُ أحلام ◊

لَيالٍ كَثيرَةٌ قَضَيْتُها عِندَ سَريرِكِ،
أُهَدِّئُ مِن رَوْعِ البَنَفسَجِ
في مُحاولاتِهِ الحَثيثَةِ لِلاسْتِحمامِ بِنَبْضِكِ
وَعِندَ أَنامِلِكِ أَفُكُّ اشْتِباكَ الأُقْحُوانِ بِالياسَمينِ،
تَزاحُمَ الطُّيورِ وَهِيَ تَحْتَمي بِأَنْفاسِكِ
لالْتِقاطِ تَغريداتِها

أَصُدُّ فَيَضاناتِ الأَنْهارِ وَأُقاوِمُ أَمْواجَ البِحارِ
في قَميصِ نَومٍ يَتَحَسَّسُ لَهْفَتي،
يَجْذِبُ يَدي إِلَيْهِ لِيَخلَعَ عَني خَجَلي
يُعَرّي رُجولَتي بينَ ساقَيْكِ
فَيَلوذُ النَّوْمُ بِالْمَدينَةِ.

◊ في هذه القصيدة ◊

في هَذِهِ القَصيدَةِ تَتَزاوَجُ سَنَواتُنا
فَيْضُ بَهاءِ أُنوثَتِكِ وَصَحارى طُفولَتي المَليئَةُ بِالمِلْحِ وَالعاقولِ،
رُهبانٌ يَتَبَرَّكونَ بِخُطُواتِكِ،
وَنُوّابٌ عُرَفاءُ سَلَخوا جِلْدي في المِياهِ الآسِنَةِ،
آلِهَةٌ تَعْزِفُ بِالْمَزاميرِ وَيُرسِلُون أَنْبِياءَهم لِيَدْعُوا لَكِ،
وَمَنافٍ أَوْغَلَتْ بِسِياطِها عَلى أَحْلامي،
حَفّارو قُبورٍ يَمْلَئونَ طُرُقي بِصُراخِ مَوتى،
وَتَحْتَ قَدَمَيكِ رِياحٌ تَتَوَسَّلُ،
شَعْرُكِ الْمُمْتَدُّ عَلى حُقولِ البَنَفْسَجِ،
يَسْقي غُرورَكِ بِقَصائدي،
تَنْمو وُعودُكِ الكَثيرَةُ
وَمُتْعَتُكِ بِنِسْيانِها،
صِرْتُ نَبِيًّا لا أَتْباعَ لَهُ

وَقُرْصانًا لم يَرْبَحْ مَعْرَكَةً واحِدَةً،

غُصْتُ عَميقًا بَحثًا عِن الثَّراءِ
فلم يَبْقَ في يَدَيَّ سِوى خَيباتٍ تَسْخَرُ مِنّي،
قَرَّرْتُ أَنْ أَكْتُبَ كِتابًا شِعريًّا عن هُيامي لعَلَّكِ تُحِبّينَني،
لكِنَّني عَلى يَقينٍ
حينَ أُنهي هذهِ القَصيدَةَ
تَغتَسِلينَ بِها وَتَرْحَلين.

◊ محاولة يائسة ◊

لَسْتُ عاشِقًا،
هكَذا أُرَدِّدُ في مُحاوَلَةٍ يائِسةٍ لِلهُروبِ مِن حُبِّكِ
أَتْرُكُ يَدَيَّ تَمْرَحُ في جُيوبي
وَنَظَراتي تُطارِدُ العابِراتِ لَعَلّي أُزيحُكِ عَنّي وَلَوْ قَليلاً،
ثُمَّ أَتَأَمَّلُكِ وَأَنْتِ تَبوحينَ بِصَمْتِك،
تَنمو أَشجارُ الأَسى في حَياتي،
تَسْتَوْطِنُها الطُّيورُ وَالفَراشاتُ،
يَقْتَحِمُ الصَّيّادونَ أَعشاشَها،
يَحظى القَوّاسونَ بِزَقْزَقاتٍ كَثيرَةٍ
غِزْلانٌ تَلوذُ بي، أَمْطارٌ تَتَدَفَّأُ بِهَوَسي
هَوَسي الذي طالمَا كانَ يَفْتَرِشُ أَحزانَهُ لِعَبَثِكِ بي وَلِلامُبالاتِكِ أَيْضًا
أَبْحثُ في النِّسْيانِ عَنْكِ بِلا جَدوى.

◊ أحبّك ◊

كُنْتُ أَكْتُبُ "أُحِبُّكِ"
عَلى القَلبِ الْمُقابِلِ لِشُبّاكِكِ،
عاشِقٌ أَنْهَكَهُ الإِفلاسُ وَاليُتمُ،
كانت يَدي مُلَطَّخَةً بِعَصا الْمُعَلِّمِ
وَأَنيني يَهْتِفُ لَكِ،
وَأَنْتِ خَلْفَ النّافِذَةِ
تَمْنَحينَ دَلالَكِ غُرورًا

تَبْتَسِمينَ لِجُنوني
وَتُغْلِقينَ الشُّبّاكَ.

◊ تركلني حياتي ◊

لا كُتُبَ تَفْتَحُها الطَّبيعَةُ حينَ تَنْثُرينَ شَعرَكِ الْمُبْتَلّ
تَلوذُ بِهِ الزَّقْزَقاتُ وَيَخْتَبِئُ فيهِ النَّسيمُ
تَمْتَلِئُ كُتُبُ الطَّبيعَةِ دَهْشَةً
تَفيضُ بِبَهاءِ أُنوثَتِكِ شَلاّلاتُ أَحْلامٍ
وَالعِطْرُ غَفا عَلى صَوْتِكِ مُرَتِّلاً أُمْنِياتِه
مَأَوايَ أَنْتِ وَأَنْتِ وَطَني الذي شَرَّدَتْني المنافي فيهْ

أَخْرُجُ مُتظَاهِرًا أُنَدِّدُ بِحَياتي
وَلافِتَتي تَصْرُخُ: أَنَّكِ وَطَني وَلا وَطَنَ سِواكِ
يَرْكُلُني الشُّرطِيُّ تَرْكُلُني حَياتي
أَتَشَبَّثُ بِمَديحِكِ وَأَعْلَمُ أَنَّكِ فَنائي

وَمِثْلَما فَعَلَتِ الحِكاياتُ

حينَ أَلْبَسَتْ ثَوْبَكِ

لِلَيلى وَبُثَيْنَةَ وَعَفْراءَ وَسَلْمى وَجولييتَ

لَوْ لَمْ تَكوني لاخْتَرَعْتُكِ.

◊ أتَشَبَّثُ بكِ حُلمًا ◊

بَحَثْتُ في رَسائِلِكِ عَن موسيقى البَنَفْسَجِ،
وَمِثلَما انْتَصَبَ غِيابُكِ يَرْسِمُ أَسايَ،
غادَرَتْني هَداياكِ لأَبْقى وَحيدًا أَحْتَفي بِخَساراتي،
لَطَّخَني جَمالُكِ بِالْحُزْنِ، وَصَوْتُكِ بِالحَنينِ،
وِمرآتي تَذْرِفُ دُموعَ وحْدَتِها،
أُجْلِسُ عُزْلَتي بِجانِبي
وَنُذاكِرُ ما نَسِيتِ مِن كَلامٍ عَلى ماءِ الذاكِرَةِ،
الماءِ الذي ارْتَجَفَ عَلى شَفَتَيْكِ،
فَانْدَلَقَتْ آهاتي يَتيمَةً مِنَ البَرْدِ
تَحْلُمُ بِدِفْءِ وَجْهِكِ الذي تَسَلَّلَ في الرِّحامِ،
أَتَمَرَّغُ في حُبِّكِ
الذي يُحاوِلُ أَنْ يُصْبِحَ ذِكرى
فَأَتَشَبَّثُ بِهِ حُلمًا.

◊ لا أحَدَ سواكِ ◊

الْمَنافي تُنْتِجُ ذِكرياتٍ مُلَوَّنَةً
لكنَّ رَمادَها أَسْوَدُ دائِمًا
أَحْصَيْتُ الْمُدُنَ الَّتي سَحَقَتْ أَقدامي
وَنَثَرَتْ ماضِيَّ عَلى تاريخِها
فَلَمْ أَجِدْ سِواكِ بِهذا البَوْحِ
مَرَّغَني غِيابُكِ في وُحولِ التَّشَرُّدِ
عِشْتُ مَعَ فُقَراء وَشَموني بِعِفَّتِهِمْ
وَمُشَرَّدينَ آوَوْني
وَكُنتُ ما أَكْتُبُهُ عَنْكِ
أَسْمَعُهُ بِصَوْتِ الصَّعاليكِ وَالعُشّاقِ
تَتَناقَلُهُ الإِذاعاتُ

صِرْتُ نَديمَ الخَمْرَةِ

وَأَنْتِ تَرَبَّعْتِ عَلى امْتِدادِ مُخَيّلَتي

مَعشوقَةً راحَ النَّحّاتونَ يَصْنَعونَ لَكِ تَماثيلَ

وَيُهَشِّمونَها صارِخينَ: انْطِقي بِحَقِّ عِطْرِكِ الَّذي أَحاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ

وَأُنوثَتِكِ الَّتي أَفاضَتْ عَلى كُلِّ شَيْءٍ

أَشْهَدُ أَنَّكِ كُلُّ شَيْءٍ

وَأَنَّني عاشِقٌ يُنيرُ أَيّامَهُ بِصَوْتِكِ

وَحَياتُهُ تَخبو بِغِيابِكْ.

◊ أرقُب غيابَكِ ◊

أَرْقُبُ غِيابَكِ فَيَسْتَعيرُ القِنديلُ شُحوبي
صَوْتُكِ البَعيدُ يَرْسِمُ أَيّامي بِالعَويلِ
وَيَمْلأُ سَريري نُواحًا
لا شَيْءَ في قِربَتي سِوى الأَسى
وَأَمْطارُكِ تَسْرِقُ شُرْفَتي وَتُسَمِّرُني

أَعُدُّ حَياتي الْمَسروقَةَ بَينَ مَقاعِدِ الدِّراسَةِ وَالتَّكَناتِ
بَينَ خِياناتٍ لَطَّخَها الأَصْدِقاءُ وَفَشَلي المَريرِ في العَمَلِ
لا أَجِدُ سِوى انْبِهاري بِكِ
وَانْبِهارِكِ حينَ رَأَيْتُ جِراحي تَخْلَعُني وَتُغريكِ بِالْهَرَب
وَلَطَالما قَرَّرْتُ الإِمْساكَ بِطَيْفِكِ،
صَعِدْتُ إلى أَعْلى جَبَلٍ، أَغْرَيْتُ الغُيومَ بِالنُّزولِ إلى السَّفْحِ
وَضَعْتُ الشَّمْسَ في كِتابٍ مَلِيءٍ بِصَوتِكِ

وَالْجَبَلُ زَرَعْتُهُ ياسَمِينَ وَأُقْحُوانًا، لِعَلّي أُغْرِي طَيْفَكِ

لكِنْ عَبَثًا

سِهامي رُدَّتْ عَلَيَّ وَأَثْخَنَني عِطرُكِ تِيهًا

حَتّى بَنَتِ الطُّيورُ أَعْشاشَها عَلى رَأْسي

وَالغِزلانُ اسْتَظَلَّتْ بي.

◊ هواجس غريبة ◊

تَنْتابُني هَواجِسُ غَريبَةٌ
مَثَلاً: مَلائِكَةٌ يَتَصارَعونَ عَلى ظِلّكِ
نَدًى يُعاتِبُ الحَدائِقَ لأَنَّها مَهْجوسَةٌ بِعِطْرِكِ
عِنادُ قَصائِدي مَعي حَتّى أَتَهَجَّدَ بِاسْمِك
طُيورُ حَديقَتي وَهِيَ تَأبى الدُّخولَ إلى الشّقَّةِ
إلاّ حينَ أَفْتَحُ قَلبي لِتَراكِ
خُطوطُ راحَتَيَّ وَقَدْ اسْتَحالَتْ إلى حُروفِ اسْمِكِ ذِي النُّقْطَةِ اليَتيمَةِ

أَنا يَتيمٌ أَيْضًا.. هكَذا أُرَدِّدُ لِلتَخْفيفِ عَن خَسارَتي
أَنْتِ أَفْجَعُ خَساراتي.

◊ كنتِ حُلمًا ◊

كُنتِ حُلمًا راوَدَني في أَزِقَّةِ مَدينَتي،
حَمَلْتُهُ هَواءً أَتَنَفَّسُهُ،
كَما حَمَلَتْني سَفائِنُ غَريبَةٌ،
وكانَ البَحّارَةُ حينَ تَتَدَفَّقُ وُحوشُ البَحْرِ عَلَيْنا،
يَشُقّونَ قَلبي لِيَرَوْا صورَتَكِ
يَرْجُونَني أَنْ أُصَلّي إِلَيكِ لِيَشْعُروا بِالاطْمِئْنانِ أَكْثَرَ.

كُنتِ حُلمًا آثارُ أصابِعِهِ عَلى بابِكُم
وَعَلى شُبّاكِكِ آثارُ انتِظاري
كُنتُ أَرْسِمُ صُورَتَكِ وَأُشْبِعُها قُبَلاً
فَتَحْتَجّينَ لأَنَّ دَلالَ أَبيكِ يغارُ

لم تَذْكُري ما تُسَبِّبُهُ مِن إِحْراجٍ،

لكنَّ هَمْسَ صَديقاتِكِ أَنْبَأَني.

كُنتِ حُلمًا أَسْتَعيذُ بِهِ مِن كَوَابيسي
وَأُمَنِّي أَسْمالي بِكُلِّ خَيالِ مَن أَوْجَعَهُ اليُتْمُ وَالإِفْلاسُ
حُلمًا حاوَلْتُ أَنْ أَهْزِمَ بِهِ طُفولَتي وَصَفَعاتِ المُعَلِّمِ
أعلى عَتَبَةِ دارِكُمْ وَما تَرَكَ ماءُ النّارِ عَلى أَيّامي

كُنتِ حُلمًا، فَكَّرْتُ كَيفَ أَنْجو مِنْهُ
فَوَجَدْتُني أَدْخُلُ حِكايَةً وَأَتَنَفَّسُكِ
وَفي ضَوْئِكِ أَخْتَبِئُ آمِلاً بِالنِّسْيانِ.

◊ ليس ثـمَّةَ أمَـل ◊

كنتُ أَفْعَلُ أَيَّ شَيءٍ لأُثيرَ انْتِباهَكِ
أتَحَجَّجُ أَمامَ زُمَلاءِ الدِّراسَةِ كي نَمُرَّ مِن زُقاقِكُمْ
طَوَالَ الطَّريقِ أَتْرُكُهُمْ يَتَحَدَّثونَ
وَحينَ كُنّا نَقْتَرِبُ مِن بَيْتِكُمْ أُطْلِقُ العِنانَ لِصَوتي
مُناقِشًا وَعَيْني عَلى نافِذَتِكِ بِسَتائِرِها الْمُسْدَلَة
لماذا السَّتائِرُ مُسْدَلَةٌ بِوَجْهي دائِمًا؟

أُحاوِلُ أَنْ أُعَلِّمَ قِطَّتَكِ كِتابَةَ الشِّعْرِ
لَعَلَّكِ يَوْمًا تَلْتَفِتين وَتَسْأليني هَلْ أَنْتَ شاعِرٌ؟
لأُرِيكِ دَفْتَرًا مَليئًا بأُنوثَتِكِ وَهِيَ تُرَمِّمُ عَبَقَ الياسَمينِ
وَتُغَطّي خَجَلَ النَّدى بِعِطْرِها
كنتُ أَسْرِقُ الطَّباشيرَ مِنَ الْمَدرَسَةِ
كي أسْتَعْرِضَ مَهاراتي في الْخَطِّ عَلى جُدرانِكُمْ

وَلَطَالما سَمِعْتُ أَباكِ يَشْتُمُ
فَأَعْرِضُ خَدَماتي وَبِلا انْتِظارِ جَوابِهِ أَقومُ بِمَسْحِ ما كَتَبْتُهُ قَبْلَ لَيْلَةٍ
لأُعاوِدَ السَّرِقَةَ وَالخَرْبَشَةَ في اليومِ التّالي
مَلأتُ جُدرانَكُمْ بِقُلوبٍ دامِيَةٍ تَخْتَرِقُها سِهامٌ نارِيّةٌ
وَأَوَّل حَرْفَينِ مِن اسْمَيْنا،
وَتَحتَ القَلْبِ أَكْتُبُ: مَجْنونُ ...
كنتُ أَتَهَرَّبُ مِنْ سُؤالِ أَبيكِ عِنِ اسْمي،
كَي لا يَسِيلَ النَّدَمُ حَتّى بَيْتِنَا

مَرَّةً أَقْنَعْتُ صَديقي الثَّرِيَّ أَنْ يُعيرَني عُودَهُ
وَرُحْتُ أَعْزِفُ تَحْتَ شُبّاكِكِ لِساعاتٍ
لم أُفِقْ إلاّ عَلى انْدِلاقِ ماءٍ أَسْوَدَ عَلى حَياتي

كَثيرًا ما سَرَقْتُ قُمْصانًا وَأَحْذِيَةً فاخِرَةً،

وَحينَ أَمَلُّ مِنَ الانْتِظارِ

أُعيدُها وَأَهْرُبُ مُنْكَسِرًا، ما حاجَتي بِكُلِّ هذا

وَلَيْسَ ثَمَّةَ أَمَلٌ يَتَسَلَّقُ النافِذَة

كنتُ أَقْرَأُ في قصَصِ العُشّاقِ

وَأَخْتَرِعُ حِكاياتٍ جَديدَةً أَكونُ بَطَلَها الوَحيد

لكنَّ جَميعَ حِكاياتي لم تُؤَدِّ إلى قَلبِكِ.

◊ دموعي في عيونِ غَرْقَى ◊

أَرَى دُموعي في عُيونِ غَرْقى
وَنَدَمي في تَبَتُّلِ تائِبينَ أَدْرَكَهُمُ الْمَوْتُ
تُرافِقُني حَسَراتٌ لم تَبْلُغِ الْحُلُمَ بَعْدُ
تنمو في سَنَواتي
كُلُّ قُرْبانٍ أُقَدِّمُهُ لَكِ
يَتَعَثّرُ في غِيابِك
عادَةً أَفْشَلُ في الْحَدِّ مِن ارتِباكي
حينَ أَرى صَوتَكِ يَتَوَسَّدَهُ عِطْرٌ

كنتُ أَسْأَلُ عَن مَأوَى العِطْرِ بَعْدَ التَّبَخُّرِ
لم أقْتَنِعْ أَنَّهُ يعُودُ لِطُفولَتِهِ حَتّى مَرَرْتِ
حينَها عَرَفْتُ لِماذا يَتَعَمَّدُ أَنْبِياءُ بِشَذاكِ

وَيَجْعَلونَ كُتُبَهُمْ تَحْتَ وِسادَتِكِ
قَبْلَ إعْلانِ نُبُوَّتِهِمْ

أَمّا أَنا الشّاعِر
فسَأَمْسَحُ دُموعي مِن عُيونِ غَرْقى
وَأَسْقي نَدَمي بِها
لَعَلَّ حَسَراتي عَلَيْكِ تَبْلُغُ الحُلُم.

◊ انكسار ◊

أُخْطِئُ في الْحُبِّ كَثيرًا
هِيَ عادَتي الْمُزْمِنَة،
أَلْهَثُ خَلْفَ فَجْرٍ يَلْهَثُ خَلْفَكِ
عَلَّهُ يُلامِسُ الصَّباحَ وَهُوَ يَفُكُّ أَزْرارَهُ عَلى كَتِفَيكِ
هائلٌ بِشَغَفي
لي جُموحُ فُرْسانٍ تَتْبَعَهُمْ السُّفوحُ
وَتَحْلُمُ بِهِمُ القِمَمُ
وَغُربَةُ نَخلَةٍ عَلى جَبَلٍ يُحاصِرُهُ مُحيطٌ.
ربّما أنا فاشِلٌ بِالْحُبِّ أَتَدارَكُ ثَراءَكِ
بِقَصائِدَ تَسْتَهويكِ لِقَتْلِ الفَراغِ
وَتُجيدُ بَعْثَرَةَ شَظاياي
تَتَنَزَّهينَ في ذاكِرَتي وَأَنا أُحْصي فُؤوسَ الغُرْبَةِ
تَنْهالُ عَلى شَجَرَةِ أَيّامي.

◊ قارِبٌ يَتيمٌ ◊

قَارِبٌ يَتيمٌ تَرَكَهُ عُشّاقٌ عَلى قِمَّةِ جَبَلٍ
في قاعِهِ ذِكْرَياتٌ وَقُبَلٌ وَبَقِيَّةُ عِتاب

تَطَلَّعْتُ إلى وحْدَتي وَهِيَ مُنْهَمِكَةٌ تَغْزِلُ عُزْلَتَها
لم أَرَ فِيَّ سِوى الفَقْدِ
صَرَخْتُ: أفْتَقِدُكِ
راحَتْ صَرْخَتي تَحْمِلُ القارِبَ
وَفي جَوْفِهِ قِمَّةُ الجبَل

أَدْفَأْتُ الذِّكْرَياتِ وَالقُبَلَ وبَقِيَّةَ العِتابِ
وَآمَنْتُهُمْ مِنْ وَحْشَةٍ
لِعَلّي أَتَوَكَّأُ عَلى نِسْيانِكِ.

◊ أحتَفي بخساراتي ◊

كُلَّما مُنِيتُ بِخَسارَةٍ، انْحَنَيْتُ لَها
أَخْرُجُ لِلحَدائقِ
أَجمَعُ مِن رَحيقِ النَّباتاتِ نَدًى لأُعَطّرَها.

أُزيّنُها بصَوتِ الباعَةِ،
أَتَأَمَّلُها جَيِّدًا،
فَفي أَعماقِ نَظَراتِها يَكْمُنُ أَنيني.

◊ من شَفتيكِ أقطفُ التين ◊

كيفَ أحْتَفي بِرُباكِ، وأَنا مُطَوَّقٌ بِأُنوثَتِكِ،
بِجَمالِكِ وَهو يَسيلُ على أَيّامي،
بِحُزنِكِ الذي تَتَعَلَّمُ مِنْهُ تَراتيلُ الْمَعابِدِ
كيفَ تَملأُ النُّفوسَ خُشوعًا.
بِصَوتِكِ حينَ قادَ نَبْضي لِنُورِ وَجْهِكِ،
فَوَجَدْتُ الطُّرُقَ كُلَّها تَحمِلُ اسْمَكِ.
غاباتٌ كثيرةٌ تَجَمَّعَتْ في يَدي
وَأَنا أَقْطِفُ التّينَ مِن شَفَتَيكِ
عَلى كَتِفَيَّ نُجومٌ تُعانِقُ الفُراتَ
عَزْفًا سُومَرِيًّا تَتَوَشَّحَهُ عشْتارُ بِاسْمِكِ،
يَبكي تَمّوزُ مُتَسَربِلاً بِتَعَبِهِ وَحَنينهِ
راكعًا في مَلَكوتِ الأَوتارِ
وَحُروفُ اسْمِكِ تَمائِمُ خَبَّأَتْ تاريخَ مُحِبّينَ،

في مَعابِدِ نينَوَى وَأَربيلَ كانَ الإلهُ آشورُ يَذْرِفُ دَمْعًا،
عَلى حُلُمٍ أَصْبَحَ ذِكرى.
لم يَكُنْ هذا العَزْفُ سِواكِ.
خَرَجَ السَّحَرَةُ مِن جُبّةِ الأفعى
وَأنتِ تُحَرِّكينَ الْمَجْهولَ بِنَظَراتِكِ،
ظَنّوها آياتٍ لمْ تُدَوَّنْ في الكُتُبِ المُقَدَّسَةِ
أَنتِ قَصائِدُ سَرَقَتْ أَعمارَ شُعَراء وَلمْ يَصِلوها.
في النَّسيمِ أَرى كَلِماتِكِ
وفي تُويجِ الزَّهْرَةِ وَهْجَك،

طَيفُكِ في اليَنابيعِ يُناديني
أَتَقَدَّمُ نَحوَهُ
وَأَعْلَمُ أَنَّ الطَّريقَةَ الْمُثْلى لِهذا الحُبِّ
هُوَ الغَرَقُ فيكِ.

◊ أيامي ◊

أيَّامي

أَشْجارٌ لا تُطيلُ الطُّيورُ

غِناءً عَليها

وَتَتْرُكُني نَدَمًا أَكْتُبُ حَياتي.

◊ تغريد ◊

في صَوتِكِ تُغَرّدُ قصائدي،
تَشُمّينَ عِطْرَها كُلَّما دَمَعَ القَلْبُ

◊ احتماء ◊

أَحْتَمي بِعِطرِكِ
مِنْ لَهفَتي
أَعْمى
يَقودُهُ
شَهيقُك.

◊ جَنّاتُ قُبَل ◊

سَرَقْتُكِ من ذاكِرَتي
وَعِشْتُ هُيامًا في طَيفِكِ
طِفْلٌ يَدلُقُ الْجِرَاحَ عَلى نَفسِهِ وَيُغَطّيها بِالأَملاح
حاوَلْتُ الهَرَبَ مِنكِ
وَفي كُلِّ مَرَّةٍ أَجِدُني أسْتَعينُ بِكِ عَلَيَّ
عَلى نَزَقي
وَهُوَ يُفَتِّشُ في الغاباتِ
عَنْ طُيورٍ هِيَ أَيْضًا
حاوَلَتِ الهَرَبَ مِن جَموحِ أُنوثَتِكِ
في دَوّامَةِ هُيامي بِكِ

صِرْتُ أُقَشِّرُ جُنوني عَلى المارَّةِ
أَدُلُّ الحَمامَةَ على ابتِسامَتِكِ

لِتَعودَ وَتُخْبِرَ الناجينَ أَنَّ حَياةً هُنا

تَتَنَزَّهُ بَين شَفَتَيْنِ

وَعَدَ اللهُ الْمُؤْمِنينَ بِها

جَنّاتٍ تَجْري فيها القُبَل.

◊ صبَوتُ ◊

مَلِلْتُ حَياتي،
لأَخْرُجَ بَعيدًا عنها قُلتُ،
فاجَأَني الطَّريقُ بِحَشْدِ مُظاهَرَةٍ
يَقودُها الياسمينُ
راجِيًا أَنْ يَغْتَسِلَ بِأَنْفاسِكِ
تَقافَزَ شَهيقُكِ أَمامي
فَاخْتَنَقْتُ بِنَبْضِكِ
أَشجاري تَغفو عِندَ ظِلالِ عِطرِكِ،
وَرَبيعُكِ يَدُلُّ اليَنابيعَ على أيامي

خُذي بِخُطُواتي
نَحْوَ ضَلالاتِ حُبِّكِ لأَصْبو.

◊ طريقكِ معَبَّدة بالجنون ◊

لأَنَّكِ أَنا.. والليْلُ يَتَكاثَفُ في شَعْرِكِ
في شَفَتَيكِ صَباحاتٌ شُرُفاتُها عِطْرٌ ومُوسيقى
تَرْقُبُ حَسَراتي وظِلالَها الْمُمْتَدَّةَ حَتّى أَكُفِّ السَّماء
تَجْلِسُ شَلاّلاتٌ في راحَتَيكِ
وَعِندَ عُنُقِكِ تَبْتَهِجُ أَنْهارٌ وَقَصائِدُ
لَيْسَ لِلنَّرْجِسِ مِن خَمْرَةٍ سِوى أَنامِلِك
يَتَبَخْتَرُ في نَبْضِكِ البَنَفْسَجُ
شَهَقاتُكِ دَرْسٌ لِلعَصافيرِ
حاذَرْتُ أُنوثَتَكِ لكنني صِرْتُ مَسْروقًا يَحْلُمُ بِسارِقِهِ،
دَرْوِيشًا يَرْقُصُ في الْحَلقاتِ
لَعَلَّهُ يَسْقُطُ سَكْرانًا بِعِطْرِكِ.

لَم تَكُنْ نَظْرَتُكِ لي إلاّ تَعْويذَةً أَرْبَكَتْني

بِبابِكِ عاشِقٌ يَطْرُقُ الأَمَل

وَحينَ تُنادينَ: مَن؟

يُجيبُ أَنْتِ

*

*

إِنَّ الطَّريقَ إِليكِ مُعَبَّدَةٌ بالْجُنونِ

◊ غفران ◊

حينَ تُمْسِكينَ بالظَّلامِ
يُشِعُّ نورًا
يَدُكِ الْمَليئَةُ بِالغُفْرانِ،
تَقودُ خَطاياي
كي لا أَتَعَثَّرَ بِسِواكِ.

◊ رُقعة شِطرَنج ◊

هذهِ ليستْ قصيدةً
أرجوكِ اخْرُجي منها،
دَعيني أُدَوِّنُ كيفَ قَبَضْتُ على طَيفِكِ
بي حاجَةٌ لأَصْرُخَ بِكَلِمَةٍ واحِدَةٍ
ثُمَّ أَكْتُبَ
عن صَوتِكِ وهو يَسْتَوْطِنُ شِفاهَ النِّساءِ والموسيقى
عن نَظْرَتِكِ وهي تَملَؤني تَراتيلَ
عن الْمَطَرِ وهو يَتْبَعُكِ خَجِلاً
وفي يديهِ وَردةٌ حَمراءُ وقِنّينَةُ نَبيذٍ بِلَوْنِ أَشواقِهِ

مَرَّةً رَأَيْتُ حَدائقَ تَتَسَلَّلُ إلى سَريرِكِ لَيْلاً
وفي النَّهارِ تَتلو نَصائحَ لِلعُشّاقِ
سَبْعُ غَزالاتٍ أَعَدْنَ الغِطاءَ عَليكِ

وَأَغْلَقْنَ الشُّباكَ

رُحْتُ أَتَصَيَّدُ الصَّباحاتِ

وأَضَعُها على طاوِلَتِك

بينما حياتي رُقعَةُ شِطرَنج.

◊ صـلاة ◊

سأزَيّنُ تلكَ اللَّحَظاتِ
حيثُ رَنَّ صَوتُكِ في رُوحي
أَرُشُّ عليها ماءَ الوردِ
وأُطْعِمُها عُشْبةَ الآلِهَةِ
كُلَّ يومٍ أُصَلّي لَهَا
وأُشْعِلُ الشُّموعَ
أَحْرِقُ البَخورَ عندَ عَتَبَتِها
كي لا تَرحلَ أيضًا.

◊ الحدائق تَتبَعُ خُطواتِك ◊

أقودُ الفُصولَ نحوَ نَبعِكِ، فَتَسْكَرُ الطَّبيعَةُ،
كانتِ الحدائقُ تَتْبَعُ خُطُواتِكِ،
واللِّبْلابُ– القلبُ
حُلْمُه أَنْ يُلامِسَ الشُبّاكَ
لِتَتَساقطَ من ندى الأُقحُوانِ خَمرةٌ تَفتَحُ أَبوابَ الرَّغبَةِ
مَدَدْتُ يَدي.. كان اسمُكِ يُربِكُ الأبجديةَ،
فيَعْكُفُ النَّحْوِيُّونَ على التَّأويل
وفي رُباكِ أُصْغي إلى قصائدي.. أراها تُورِقُ مَدًى
أَضُمُّكِ إليها وأَشْرعُ في مَسْحِ الدُّموعِ عن طُفولتي
يَدُكِ صَباحٌ مَليءٌ بالجداولِ، تُصافِحُني
تَنحَدِرُ شَلاّلاتِ غِناءٍ في مَعابِدَ بُوذِيَّةٍ
أغْتَسِلُ فيها، يُصِيبُني دُوَارٌ أَجْهَلُهُ
حَمَلْتُ عَطَشي وَلُذْتُ بِكِ، زاحَمَني الصّفصافُ،

كان يُمَشِّطُ مَوجَهُ، والنُّجومُ تَغرَقُ في ضِيائكِ،

هَمَمْتُ بالْتِقاطِ صورةٍ للشَّبّوي حينَ حاوَلَ سَرِقَةَ عِطرِك.

قالَ البوذيُّ العَجوزُ: الأَشْجارُ بِلا طُيورٍ تَشعُرُ باليُتْمِ

فَحَمَلْتُ الغاباتِ إليكِ ومعي جلجامِشَ يَتَأبَّطُ مَلحَمَتَه وفي خُمُرِهِ فَقْدٌ

مَرَرْنا بِقَيْسٍ وهو يُطعِمُ الوَحشَ جُنونَهُ

صَبَبْتُ له التشيتشا(1)، فراحَ يَصدَحُ: إن رُباكَ رَشَأٌ في حورانَ

تحتَ قَميصِهِ فُراتٌ يَهطلُ على امْرِئِ القَيْسِ(2).

طَوَيْتُ أَلْوَاحي ومَلأتُ كأسَيْنا قُبَلاً

ورُحْتُ أستنجِدُ بِكِ لِكِتابَةِ قَصيدَةِ حُبّ.

... ...

(1) الخمر الشعبي في الأكوادور، ونسبة الكحول فيه جدّ ضئيلة بحيث لا يُسكر إلا بشرب كميات كبيرة للغاية.

(2) الملك العراقي المتوفي سنة 328 م. والمدفون في سورية. والكتابة التي على قبره تُعدّ أقدمَ كتابة عربية.

◊ عِطرُك ◊

كنتُ كلّما مَرَّرْتُ أَنفاسي على زَغَبِكِ
تَحَوَّلَتْ إلى طُيورٍ مُلَوَّنَةٍ
يَتْبَعُها صَيّادونَ وَدَراويشُ وَرَحّالَةٌ
قَرأوا في وَصايا أَسلافِهِم:
إنَّ التَّعَمُّدَ بعِطرِكِ يَقيهِمْ عَذابَ جَهَنَّمَ
لكنَّ عِطرَكِ الذي أَوْصَلَ الأَعمى
لِرُؤْيَةِ العِبارَةِ تَنْزَلِقُ من شِباكِ الصَّيادينَ
وَرُؤْيَة الطُّيورِ المُلَوَّنةِ تُزَيّنُ جُبَبَ الدَّراويشِ
والطُّرُقِ ثِمارًا تَتَدَلّى من أَقْدامِ الرَّحّالَةِ
ظَنّوها ثِمارًا تالِفَةً،
فَأَجَّروا أَحلامَهم لِلمُتحَفِ
وراحوا يَنْتَظِرونَ بُزوغَ الْتِفاتَتِكِ
حَيثُ الشُّروقُ الذي يَستَنِدُ على كَتِفيكِ،

ذَكَّرَهُم بالجبالِ البَعيدَةِ
يومَ غَصَّتْ بِأَبطالٍ
يُسَوّرونَ قُلوبَهُم باسْمِكِ
ويَلِفّونَ مَعَ التَّبْغِ قَصائدَهُم

عِطرُكِ الذي أَوْصَلَ الأَعمى لِكُلِّ هذا..
قادَني إلى الجنون.

◊ سمفونية ◊

في صَباحاتِ «كيتو» نِصْفِ العاريةِ..
استوقَفَني الدَّرَكيُّ مُستَوضِحًا هُويَّتي
أَرَيْتُهُ قُبُلاتِكِ فَتَحَوَّلَ إلى أُقْحِوانٍ،
وَنُقطَةُ التَّفْتيشِ إلى حَديقَةٍ
مَضَيْتُ وطَريقي الوحيدُ ابتِسامَتُكِ،
كنتُ أُرَدِّدُ هذه القصيدةَ وصَوتُكِ صَدى
كُلَّما دوَّنتُ كَلِمَةً فاحَ شَذاكِ في شَفَتَيَّ،
تسأَلينَني عَن أَنيني،
فيَهبِطُ الكُحْلُ من عَينيكِ ومَعَهُ رَحيلُ أبي وَعَصا الْمُعَلِّمِ
دار... دور
ثمنُ الدّارِ أَبْخَسُ مِن سَرَطانٍ يَبْتَلِعُ الأُمَّهاتِ
غادَرْتُ الدّارَ والبِلادُ لم تُغادِرْني
لم يَكُنْ ثَمَّةَ قَبْرٌ يَتَّسِعُ لِلذِّكرَياتِ

حُقولُ الياسَمينِ تَسوقُ السَّماءَ في قَميصِكِ
ورائحَةُ الثَّكَناتِ تَسوقُ فَرَحي حَقائبَ مَليئةً بالأَكْفانِ
فَلاّحونَ أدْمَى حَيَواتِهِم الْمَوْزُ
يُلوِّحونَ لنا
رُجولَتُهُم تَفتَرِشُ ظِلَّكِ
قَدَّموا لنا فاكِهَةً.. هَبَطَ آدَمُ وهو يَقبِضُ على لُهاثٍ زَعَمَ أَنَّهُ حَوّاءُ
هَبَطَت امرأةٌ تَرتدي مَعاولَ وجداولَ يابِسَةً
سَألَتْني: ما اسمُ هذه السمفونيةِ؟ وكانت تُشيرُ إليكِ
حَدّقَ آدمُ بالصَّباحِ وهو يَستلقي على كَفّيكِ
غَمَزْتِني: أُحِبُّكَ

دَخَلْنا الغابةَ والزَّقزَقاتُ نَمَتْ على شَعرِكِ
حاولتُ تَقبيلَكِ..
باسم .. أَزِحْ حُقولَ البَنَفْسَجِ عن حَلَمَتيَّ.

◊ العُشبةُ هنا ◊

صِرْتُ أَغارُ من الْمَساءِ لأَنَّهُ يَحتَفي بِكِ بَعيدًا عني
وأَحْسُدُ اللَّيْلَ وَهُوَ يُزَيّنُ وِسادَتَكِ بالنُّجوم
ويَقودُ الأَحلامَ إلى مَخدَعِك
حتى الصَّحراءُ بِرِمَالِها ووحشَتِها،
ازْدَانَتْ بالرَّبيعِ حين مَرَرْتِ بها
والبَحْرُ غَفَا بين راحَتَيْكِ
كان مَوجُهُ يَطرُدُ النُّعاسَ عن قَلَقي

في المدينَةِ حينَ كُنتُ أَسْتَدِلُّ على الجمالِ بصَوتِكِ
قَفَزَتِ الينابيعُ إلى جَيبي وَتَشَبّثَ بي نَهرُ الْمَدينَةِ
لم أَنْتَبِهْ لِلحَدائقِ وهي تَتْبَعُني
وأَسْرابُ الطُّيورِ تَحَلّقَتْ فوقَ رأسي
رُحتُ أَطْلُبُ السِّحْرَ لأَحْتَمي مِنكِ

وأَحْفِرُ الحِكمَةَ في مَتاهاتِ السُّؤال

مَرَّ شَيخٌ طاعِنٌ بالسَّفَرِ
اسْتَوْقَفَني صارخًا:
خَمسونَ قَرنًا والرَّحيلُ قِبلَتي..
العُشْبَةُ هنا.

◊ بالمطر أغسل ذاكرتي ◊

في قَبضَةِ ريحٍ حَمَلتُ كَلِماتِكِ
ورُحْتُ أُنادي على الجبالِ
راكِضًا بِكُلِّ هَوَسي بِكِ
إلى حيثُ تَجلِسُ الشَّمْسُ وَحيدَةً تَنتَظِر

النُّسورُ تُحاوِلُ أَنْ تَنهَشَني
أُغريها بالأَحاجي
وفي أَنفاسي الْحُقولُ تَجمّعَتْ
بينَما البَحْرُ راحَ يَنقُلُ أَنينَهُ
الملاّحونَ الذينَ مَرُّوا بي
حَمَلوا الآفاقَ في نَظَراتِهِم
وَعَلى أَكْتافِهِم وَشْمٌ مُبتَهِجٌ بِعِطرِك

أَصواتُ مَزاميرَ مُتخَمَة بالطوفانِ..
كانت تَهْجِسُني، رَنينُها يُرَصِّعُ الظَّلامَ
الطوفانِ الذي يَستَنفِرُ صَوتَكِ
لِيُزيحَ الْجَدْبَ عن حياتي
لِنَصْعَدَ سَفينَةً مَليئَةً بالأَغاني والحِكاياتِ
حيثُ قَبَّلْتُكِ طَوَالَ النَّهارِ
لكنَّكِ أنْكَرتِ ذلِكَ
زاعِمَةً أَنَّهُ حُلم

أَصواتٌ مُرتَبِكَةٌ تدعونا لِغَلْقِ الأَبوابِ
وَتَحتَ قُلوبِها ثاراتُ تِيهٍ
أَفْتَحُ النَّدَمَ على سَواحِلِ النِّسْيانِ
وأُطعِمُ فَراشاتِ قَميصِكِ لَهفَتي

أَيُّ طَريقٍ قادَني لأَهْتِفَ باسْمِكِ
حتى يَرَكُلَني الْمُتَظاهرونَ بَعيدًا؟

قِرشٌ في زَعانِفِها أَمواجٌ طَوَّقَتْنا
ونحنُ نَحتَمي بِتَغْريدِ الطُّيورِ
نَحْتَمي بِدُموعٍ بَغاواتٍ خَبَّأتْنا من الأناكونْدا

بينما أَجْلِسُ على طَرْفِ السَّفينَةِ
أُحصي خَسائري وَأَغْسِلُ بالْمَطَرِ ذاكرتي.

◊ المِثال ◊

حينما خَلَقَكِ اللهُ،

نَظَرَ في المِرآةِ

ابْتَسَمَ لأَوْسِمَتِهِ

وَتَبَخْتَرَ غُرورًا

لِيُقَرِّرَ بَدءَ الخَلْق.

◊ أنوثة ◊

بينما يَتَسامى دُخانُ السيجارَةِ
تَلتَفُّ ذَراعَايَ حَولَ خَصْرِكِ
أُنوثَتُكِ تُشْعِلُ بَخُورَ النَّجْوى
تَذوبُ السيجارَةُ في فَمِكِ
قَصيدَةٌ اسْتَباحَت شاعِرَها
وَتَذوبينَ قِطْعَةَ سُكَّرٍ في قُبُلاتي
يَهْرُبُ أَثَرُ الدُّخانِ مُتَوارِيًا
خَلْفَ حُزْني
فَتَكْتَوي رُجولَتي بالآه.

◊ يتنفسك حتى بهذيانه ◊

وَأَنتِ تُرينَ حَفيداتِكِ هذا الكتابَ
تَتَباهينَ بإهدائي الْمُمَيَّزِ،
وَأَنَّ قَصائدَهُ مَنقوعَةٌ بِعِطْرِكِ
تَحْمَرُّ وَجنَتاكِ تَبَخْتُرًا
حيثُ تَلْهَثُ أَنفاسي فيهِ، تُحاوِلُ اللَّحاقَ بِشَغَفي
وَيَتَقَدَّمُ الصِّبا فيكِ
مُبْعِدًا شَيْخوخَةً خَجولَةً
تَسَلَّلَتْ فَزادَتْكِ أَلَقًا
ابْتِسامَة تشعُّ حُبورًا، أَنَّهُ يَتَنَفَّسُكِ حَتّى بِهَذَيانِهِ
هكَذا عَنْوَنَ قَصيدَتَهُ الأَخيرَة

وَمَعَ تَنهيدَتِكِ
رِجالُ البَلَدِيَّةِ يَعْثُرونَ عَلى جُثَّةٍ في رُكْنٍ مُهْمَلٍ مِنَ الْمَدينَةِ

عَلى شاهِدَةِ القَبْرِ سَيَكْتُبونَ:

هُنا يَرْقُدُ شاعِرٌ تَفَرَّدَ بشِعْرِهِ وَحَياتِهِ ....وَإلى آخِرِهِ

تُغْلِقينَ الكِتابَ فَيُهيلونَ التُّرابَ عَليهِ.

O المحتوى O

انتباهة طفل... 6

حلم فادح... 8

الوداع يسقُط من يدي... 10

موجوع بِحُبّك... 12

بلا جدوى... 13

طوَّقتُ خصرك... 14

طين الأيام... 16

شهقة الله... 17

تصطادين قصائد... 18

عناقُك... 19

توَهَّجْ بي... 20

أعزَلُ إلا منكِ... 21

القصيدة... 23

شفتاكِ... 24

عُذوبة... 25

حُمَّى الفَقْد... 26

انبهار... 29

الهروب من طيفك... 30

حُلم مُغتصَب... 31
غيرة... 32
صوتك... 33
قدَر... 34
يخنقني غيابك... 35
التيه... 36
حنكة عاشق... 37
مددتُ يدي... 38
محاولة لاستحضار النسيان... 39
نبيذكِ أنا... 40
قبْر العاشق... 42
الاسم الأعظم... 43
هَوَس... 44
شاعر يتوجع... 45
طائرتي الورقية... 47
حَنُوطي... 49
رسائلك... 50
شاعر يفكر بغيابك... 52
عتبة الغياب... 54

نترك قبلاتنا على السرير... 55
راهب الأحلام... 56
في هذه القصيدة... 57
محاولة يائسة... 59
أحبّك... 60
تركلني حياتي... 61
أتشبث بكِ حُلمًا... 63
لا أحد سواك... 64
أرقُبُ غيابك... 66
هواجس غريبة... 68
كنتِ حُلمًا... 69
ليس ثمة أمل... 71
دموعي في عُيونِ غَرْقَى... 74
انكسار... 76
قارب يتيم... 77
أحتفي بخساراتي... 78
من شفتيكِ أقطف التين... 79
أيامي... 81
تغريد... 82

احتماء... 83
جنَّاتُ قُبَل... 84
صبَوتُ... 86
طريقك معبَّدة بالجنون... 87
غفران... 89
رقعة شطرنج... 90
صلاة... 92
الحدائق تتبع خطواتك... 93
عطرك... 95
سمفونية... 97
العُشبة هنا... 99
بالمطر أغسل ذاكرتي... 101
المِثَال... 104
أنوثة... 105
يتنفسُكِ حتى بهذيانه... 106

* * *

باسم فرات

أشهق بأسلافي وأبتسم

شعر

أُديرُ حُزني بِحِنكَةِ عاشِقٍ مَخذول

وبالحنينِ أُوقِدُ ذِكرَياتي

لا آثارَ لِبَهْجَةٍ تائِهَةٍ في أيامي

أُنيرُ القَلَقَ بالحَسَراتِ

وَأُوفي بِنُذوري لأَطْرُدَ النَّدَمَ

الآسُ أَنْثُرُهُ على أَحلامي

وَأَقودُ صَمْتي لِلتَفَجُّعِ

على صَوتِكِ الذي غَدا بَعيدًا

وَصَوتي الذي أَصْبَحَ واهِنًا.

الحضارة للنشر